# بيتُنا الأوّل

ليست السعادة تُقاس بالمال فقد كان أجدادنا يعيشون بلا كهرباء ولا ماء في البيوت ولا هواتف و لا ... ولا .... و لكنهم مع ذلك عاشوا سعداء، هانئين بحياتهم ، و عاملين على تغيير حالهم نحو الأفضل ....

1. بنى أبي بعد أن تحسنت حاله (1) بيتا مستقلا يتكون من طبقتين غير الأرضية، كل طبقة بها ثلاث غرف وتوابعها، و بالطّبقة الأرضية قاعة انتظار للضّيوف. و لا أثر في هذا البيت للثّراء، بل طابعه البساطةُ و النّظافةُ : ففي أكثر حجراته حصير فرشت عليه سجّادة، و في غرفة النوم لحاف و مخدة وحشية تُطوى في الصباح ، و تُبسط في المساء إذ لا يوجد للأسرّة فلذلك جُلُّ ما عرفته من أثاث في بيتنا. أمّا أدوات المطبخ فهي على غاية من السّذاجة. وهكذا لو أردنا أن نرتحل بأثاثنا لكفتنا عربة كبيرة لنقله.
2. و كان بيتُنا – على قلّة أثاثه و بساطته – يحتوي ذخيرة ثمينة من الكتب (2) تشغلُ أكبر حيز فيه (3) و كان أبي مولعا بها (4) ولعا شديدا. و قد استمعت بها (5) أنا أيضا حين أصبحت قادرا على الاستفادة منها. و لقد احتفظتُ بخيّرها و اتّخذته نواة لمكتبتي التي أعتزُّ بها الآن ، و أمضّي فيها ساعات كلّ يوم.
3. ففي حجرة من هذا البيت وُلدتُ ولم تكن المدنيّة قد غزت البيوت (6) وخاصة بُيوت الطّبقة الوسطى أمثالنا. فلا ماء يجري في البيوت، وإنّما هو سقّاء يحمل القربة على ظهره ويصبّ مائها في زير بالبيت، فنملأ منه قلالنا و نغسل منه مواعيننا، و كلّما فرغت قربة جاء السقاء بقربة أخرى. و طعامنا

www.madrassatii.com

كان يُطهى على الخشب ثم تقدّمنا فطهينا على الفحم، ثم تقدّمنا أخيرا فطهينا على موقد نفط. و طبيعيّ في مثل هذه الحال أن لا يكون في البيت كهرباء فكنّا نستضيء بمصابيح البترول. و أخيرا- و أنا فتًى – رأيتُ الحارة ( الحيّ ) تُحفر و الأنابيب تُمدُّ، و الحنفيات تركّبُ في البيوت. و إذا الماء في في منازلنا و تحت أمرنا، و إذا صوت السَّقَّـاء يختفي من الحارة ، لكن لم أستضئ بنور الكهرباء حتَّى فارقتُ حيَّنا إلى حيّ أقرب إلى الثَّراء.

4. و لا خادم في بيتنا، فكلّ أعمالِ البيت تقوم بها أمِّي، يُعينُها على ذلك أبناؤُها فيما يقضُون من الخارج و كُبرى بناتِها في الدّاخل، ففي هذا البيت الأول، و بين أمّي و كتب أبي تعلّمتُ أهمّ دُروسِي في الحياة. (7)

أحمد أمين (بتصرف)

**الشرح :**

1- بعد أن تحسنت حاله : تحسّنت حال المرء أي انتقل الى ما هو أحسن منها و المعنى هنا " بعد جمع نصيبا من المال".

2- ذخيرة ثمينة من الكتب : الذّخيرة من ذخر الشيء أي جمعه و خزنه لوقت الحاجة، و الذّخيرة من الكتب: العدد الوافر منها، و هي ثمينة أي نفيسة لقيمتها.

3- الحيّز : المكان. الكتب تشغل أكبر حيز في البيت أي تحتل فيه مكانا واسعا.

4- مولعا بها : ولع بالشّيء أحبّه حبّا شديدا- و مولعا بها : مغرما بها و مقبلا على مطالعتها.

www.madrassatii.com

5- استمتعتُ : أي استفدتُ كثيرا من قراءتها ووجدتُ في مطالعتها متعة و لذّة و منفعة.

6- غزت البيوت : غزا يغزو البلاد أي هجم عليها و اقتحمها بجُيوشه - المدنيّة تغز و البيوت أي تدخلها و تستقرّ فيها بما تمنحه للإنسان في عيشه من مرافق و تحسينات : نور الكهرباء، أنابيبُ الماء، مدفآتٌ، مواقد الغاز، المذياع، الثلاجة.

7- أهم دروسي في الحياة : تلقىّ الكاتب أهم دروسه في الحياة في بيته :أي تعلّم من النشاط القائم في بيته و من سيرة أبيه و أمّه أن يواجه الحياة و مشاكلها معتمدا على نفسه راضيا بالقليل.

www.madrassatii.com